**الفصل التاسع**

**مشهد الجوادين ودوره في ظهور مدينة الكاظمية وتوسعها**

**المقدمة**

لقيام المدن دوافع وعوامل كثيرة ومن بينها العوامل الدينية، فقيام مدينة النجف الاشرف كان سببها وجود مرقد إلامام علي(ع) فيها، ومدينة كربلاء كان الدافع لقيامها وجود مرقد إلامام الحسين (ع) في أرضها. كذلك سامراء حيث يوجد مرقد إلامامين العسكريين.

ومدينة الكاظمية هي الاخرى كان سبب قيامها وجود مرقد إلامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام. فقد ظهرت أولاً بهيئة تجمع سكاني بسيط حول مشهد إلامامين يؤدي وظائف حتمها خدمة زوار المرقدين وماتمخض عنها من أنشطة تجارية وخدمات يتطلبها وجود السكان والزوار القادمين الى المشهد الشريف، كذلك قيام أنشطة زراعية في الأراضي المحيطة بالمرقدين لتوفير الغذاء الذي يحتاجه السكان وضيوفهم.

وهكذا ظهرت الكاظمية كقرية ومن ثم محلة من محلات بغداد الى أن اضطرتها ظروف بغداد الى انفصالها عنها وقيامها كمدينة مفردة تؤدي وظائفها لخدمة سكانها وتعيين نقيب لها يهتم بشؤونها الخاصة. واستمر الحال الى أن اصبحت مدينة كبيرة ضمن مدينة بغداد الكبرى تمثل قسمها الشمالي.

والدراسة التي نحن بصددها تتناول تأثير مشهد الجوادين (إلامام موسى الكاظم ومحمد الجواد) في ظهور مدينة الكاظمية وتوسعها، إذ قُسم البحث الى عدة فقرات تناولت سيرة إلامام الجواد، وتاريخ مشهد الجوادين وتطور عمارته ثم ظهور مدينة الكاظمية وتوسعها، واختتمت الدراسة بخاتمة عكست ابرز ماتوصلت اليه من استنتاجات وتوصيات.

**سيرة إلامام الجواد**

الجواد هو أبو جعفر (الثاني) محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر بن محمد الصادق الى ان ينتهي نسبه الى إلامام علي بن أبي طالب جداً، وفاطمة الزهراء جدةً عليها وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وهو التاسع من أئمة أهل البيت.

ذكر الشيخ المفيد أن المأمون شُغف بابي جعفر لما رأى من فضله وبلوغه من العلم والحكمة والأدب وكمال العقل مالم يساوه فيه من مشايخ أهل زمانه فزوجه أبنته أم الفضل(1). وذكر ابن الجوزي أن المأمون بعد أن دعاه الى بغداد اكرمه وأعطاه ماكان يعطي لأبيه إلامام الرضا(2) وهو مليون درهم(3).

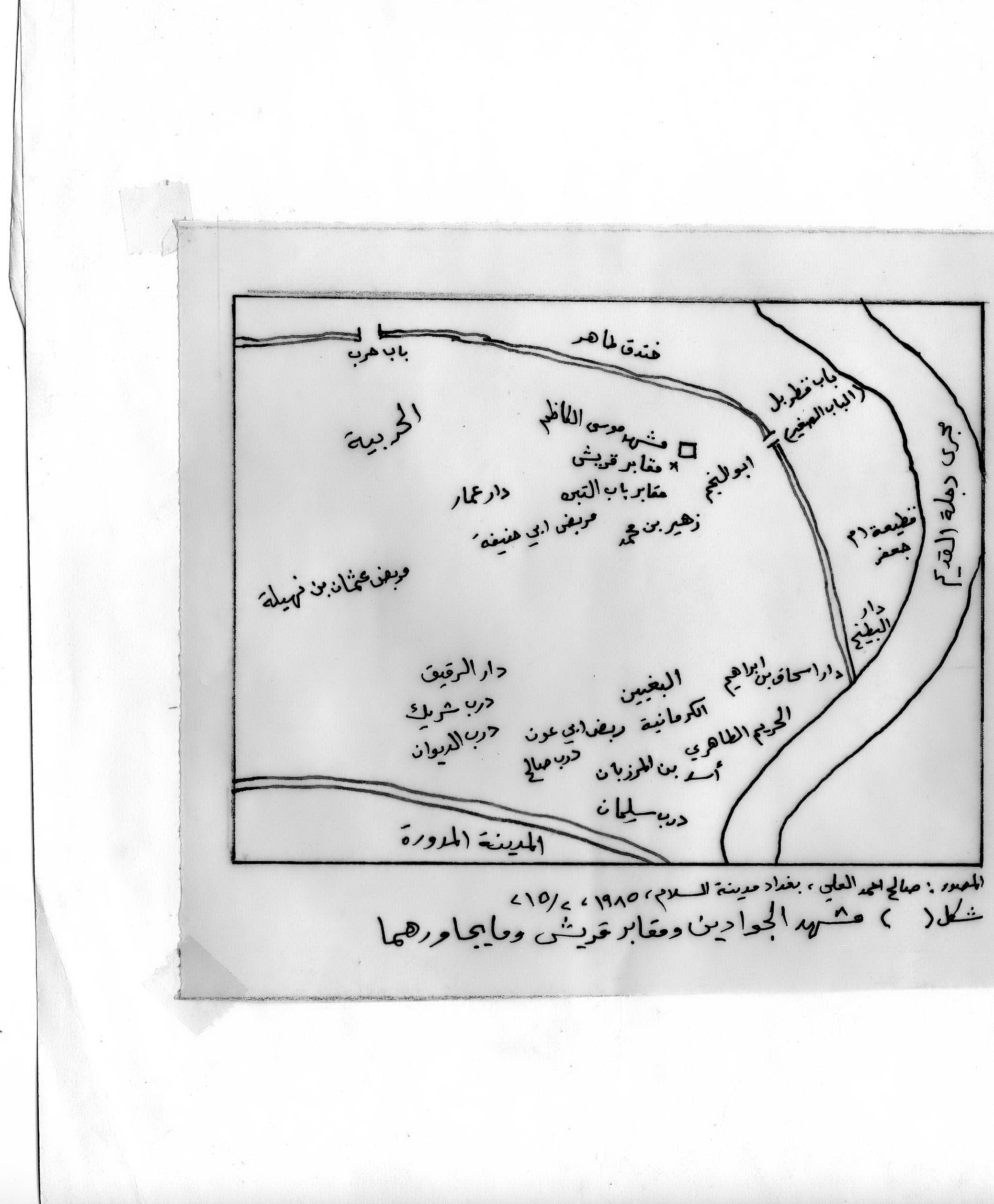
ولد إلامام الجواد في قرية (الأبواء) قرب المدينة المنورة وبها قبر السيدة امنة بنت وهب والدة النبي محمد(ص)(4). وبالرغم من إتفاق معظم الباحثين حول تحديد سنة ولادته وهي عام 195هـ/ 811م إلا أنهم يختلفون في الشهر واليوم الذي ولد فيه. يرى بعضهم أنه ولد في شهر رجب(5) أو رمضان من السنة المذكورة(6).

**نشـأتـه:**

قضى طفولته بالمدينة وزار والده في خراسان سنة 203هـ، وبعد وفاته عاد مع عائلة أبيه الى المدينة. وفي سنة 205 أو 204هـ وصل بغداد وتم عقد قرانه فيها على إبنة المأمون أم الفضل رغم معارضة بنو العباس لهذا الزواج(7). وبعد زواجه ذهب مع زوجته حاجاً الى مكة ومنها الى المدينة . وتكررت زيارته الى بغداد ثلاث أو أربع مرات(8). وفي آخر زيارة استدعاه المعتصم سنة 220هـ(9) حيث أقام بها الى حين وفاته (10) في ذي القعدة او ذي الحجة من تلك السنة (11).

أمه أم ولد اسمها سبيكة النوبية المريسية ولها أسماء اخرى(12). وله من الاولاد : علي الهادي وموسى المبرقع ، ومن الاناث : فاطمة وامامه وأُخريات (13).

وقيل ان سبب وفاته أن زوجته أم الفضل قد سمته أو ان اشناس، احد قواد المعتصم قد سمه بأمر من الخليفة(14). ولم تتأكد تلك الروايات عند الشيخ المفيد(15). وقيل صلى عليه الواثق والمعتصم، وحُمل الجثمان الى مقابر قريش(16)، ودفن في ظهر جده إلامام موسى بن جعفر.



المصدر : صالح احمد العلي، بغداد مدينة السلام، 1985، 2/215.

شكل (31) **مشهد الجوادين ومقابر قريش ومايجاورهما**

**مشهد الجوادين**

بعد أن بنى المنصور مدينته المدورة اقتطع مقبرة الشونيزي الصغير المجاورة لمقبرة باب التبن والقريبة من مدينته من جهة الشمال وجعلها مقبرة خاصة بعائلته عندما اكمل بناء مدينته سنة 149هـ اسماها" مقابر قريش(17). وتسمى أحياناً بـ(مقابر بني هاشم) (18). وصار يدفن فيها الموتى من العباسيين والعلويين .

توفى جعفر الاكبر بن المنصور في بغداد سنة 150هـ/ 767م وصلى عليه أبوه ودفن ليلاً(19). وكان أول من دفن في "مقابر قريش"(20). ودفن بعده الهيثم بن معاوية سنة 156هـ(21) ثم توالى الدفن بعد ذلك في تلك المقابر. وأشهر من دفن فيها إلامام موسى الكاظم وذلك في يوم 25 رجب من سنة 183هـ/799م(22)، وإلامام محمد الجواد سنة 220هـ.

ودفن في مقبرة باب التبن عبد الله بن احمد بن حنبل سنة 290هـ بوصية منه(23). وذكر ابن بطوطة عدم وجود قبة على قبره بالرغم من بنائها عدة مرات(24)، بسبب فيضانات دجلة. وذكر العلامة مصطفى جواد أسماء 140 من الملوك والوزراء والعلماء والأعيان والادباء ممن دُفن في المرقدين ورد ذكرهم في موسوعة العتبات المقدسة(25).

ويمكن القول أن مشهد الجوادين إبان العصر العباسي قد مرّ بخمس عمارات هي:

1. **العمارة الاولى:** بعد دفن الامامين موسى الكاظم (ت183هـ) وحفيده الجواد (ت220هـ) زيارة اتباعهما المتواصلة الى قبريهما، انقضت مدة غير معلومة عندما بُني على قبريهما بناء قد يمثل عمارة بدائية صغيرة ولعلها لاتتجاوز غرفة واسعة خاصة بالقبرين وعليهما قبة ولها أبواب والى جانبها غرف متعددة يودع فيها الاثاث والزيت، وينام فيها الخدم والقّوامون . ووضع على القبرين ضريحين منفصلين عن بعضهما بعد تهدم البناء الاول وتجديده.

ولايعرف في أي سنة تم البناء الأول، وقد يكون أول بناء اسلامي ظهر في مقابر قريش هو قبة (جعفر بن المنصور) وضمت بعد ذلك سائر منْ دُفن هناك من العباسيين . قال ابن خلكان عند ذكره وفاة إلامام موسى الكاظم:" ودفن في مقابر الشونيزيين خارج القبة، قبره مشهور يزار عليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة ..." (26).

1. **العمارة الثانية (عمارة معز الدولة):**

شيدت هذه العمارة سنة 336هـ/941م بأمر من معز الدولة أحمد بن بويه، وتعد أول عمارة كبيرة تشيد على القبرين بعد دفن إلامامين(27). وتعرض مشهد الجوادين الى فيضانات متعددة. وغرق عدة مرات وتهدم السور او اجزاء من المشهد في بعض السنوات ، وكثيراً ماكان الحكام يقومون باصلاحه(28). وأعطى (عضد الدولة) المزيد من الأرزاق والجرايات فازدادت الرغبة في الاقامة والسكن حول المشهد. وبسبب الفتن الطائفية ومايرافقها من تخريب للمشهد وتعذر زيارته قام الناس الهائجون في إحدى المرات بحفر قبر إلامامين لغرض نقلهما الى مكان آخر(29).

1. **العمارة الثالثة:**

وهي عمارة البساسيري الذي حوّط(مع الملك الرحيم البويهي) سوراً حول مشهد الجوادين وعين لها أبواب للدخول والخروج وبوابون مسؤولون ودور لسكن الناس(30). وفي سنة 466هـ منح شرف الدولة ألف دينار لتعمير المشهد بعد غرقه بالفيضان(31). وبعد ثلاث سنوات بنيت دار لاستقبال الزوار.

1. **العمارة الرابعة(عمارة القمي):** في عام 490هـ/1097م قام الاسعد بن موسى القمي السلجوقي بتعمير الروضة المقدسة ووضع صندوقين من الساج على القبرين، وبنى مسجداً الى الشمال من الروضة وعرف فيما بعد بالجامع الصفوي(32). وفي هذه المرحلة تعين نقيب للسادة من آل أبي طالب يدير شؤونهم في الكاظمية .(33)
2. **العمارة الخامسة ( عمارة الناصر لدين الله ):**

وهي عمارة الناصر لدين الله عام 575 هـ / 1180 م الذي قام بتعمير المشهد وتوسيع الصحن وبناء سور حول البلدة (34) واستمر تجديد المشهد وتعميره حتى اخر ملوك بني العباس (35) .

وفي اواخر العهد العباسي يلاحظ وجود قبة فخمة واحدة للمشهد , بعد أن كانت في العهد البويهي اثنتين . وفي المشهد مكتبة ودار لاستراحة الزوار في اوقات المناسبات والاعياد. وكان للمشهد سور يحيط به وهو غير سور البلدة , وهي مدينة اصبحت عامرة بالسكان .

**العمارة بعد سقوط بغداد :**

احتل هولاكو بغداد سنة 656 هـ واحرقت المدينة ولم يسلم منها حتى المشهد , فامر الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي باصلاحه .(36) ولم يظهر جديد في هذه المرحلة سوى ان الصندوقين الخشبيين اللذين سبق وان امر المستنصر بصنعهما وقد وضعا تحت ضريح فضي كبير واحد سماه فيما بعد ابن بطوطة ( دكانة ملبسه بالخشب عليه الواح الفضة ) (37) . وتعد عمارة السلطان اويس سنة 769 هـ و العمارة الجلائرية الاولى بعد انقضاء العصر العباسي(38).

**العهد الصفوي الاول :**

في هذا العهد بدأ الشاه اسماعيل الاول سنة 914 هـ بتجديد عمارة الجوادين على الطراز الفارسي , وبنى قبتين واربع منائر (39) ، كما امر ببناء الجامع الصفوي شمال الروضة .

**العهد التركي الاول :**

في سنة 941 هـ /1534 م اكمل السلطان العثماني سليمان القانوني النواقص في المرقدين وامر بدفع رواتب خدام المشهد من خزانة بغداد (40) .

**العهد الصفوي الثاني :**

في سنة 1032هـ امر الشاه عباس الصفوي بصنع ضريح فولاذي لوضعه على الصندوقين الخشبيين . كما تم تعمير المرقد على الطراز الفارسي، والمشهد متصل بالبيوت المجاورة من جهتين (41) .

**العهد التركي العثماني :**

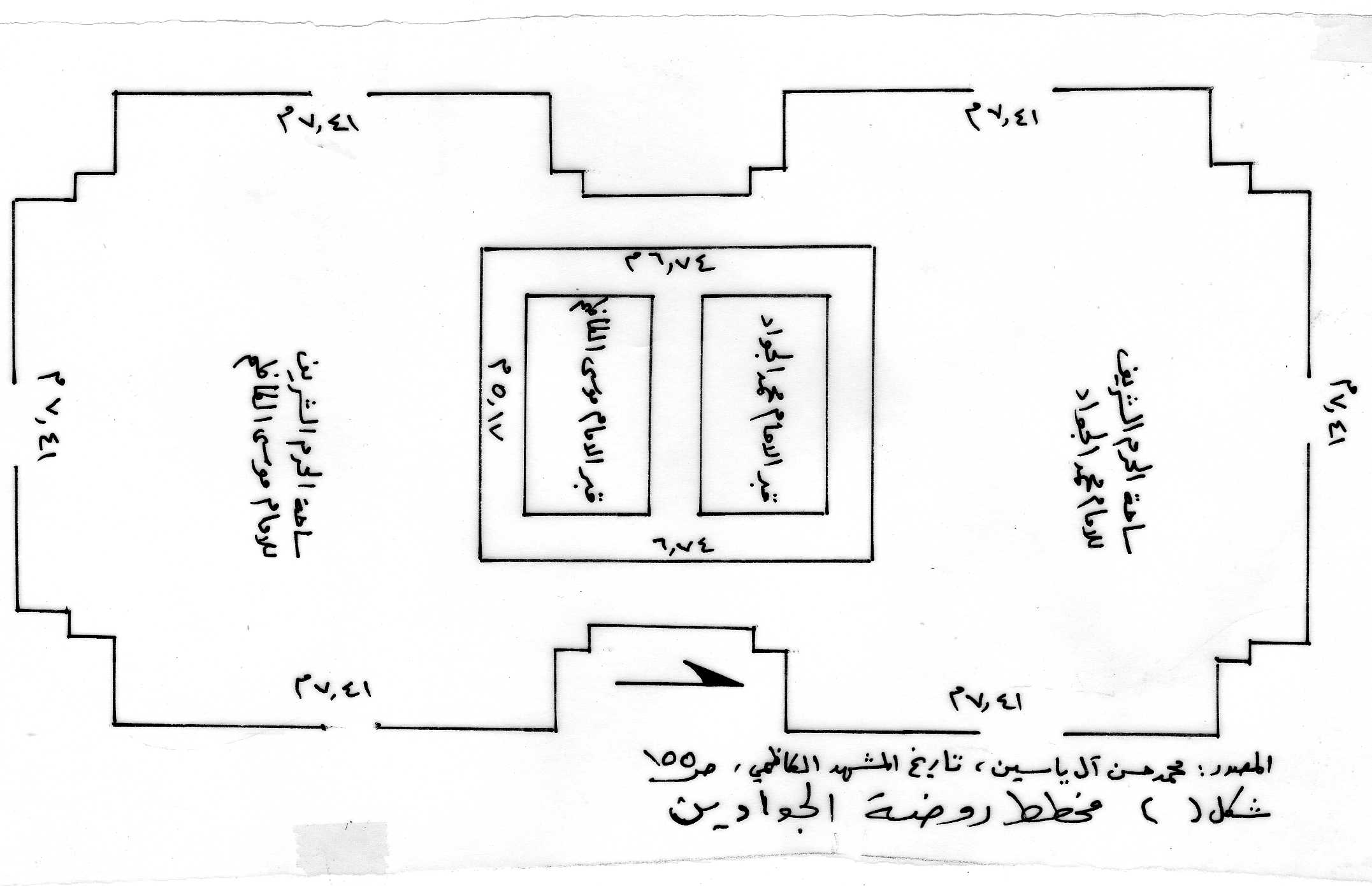
استمرت اعمال نهب النفائس من المرقدين حتى زيارة مراد الرابع للمشهد سنة 1050 هـ / 1640 م (42) . وفي 1282 هـ امر ناصر الدين شاه بنصب ضريح فضي لاول مرة فوق الضريح الفولاذي القديم.

وفي عام 1293هـ بدأت اهم عمارة للصحن الشريف وتهذيب المآذن وتشييد سور مرتفع للصحن من طابقين , نفذها معتمد الدولة العثمانية ( فرهاد ميرزا ) عم ناصر الدين شاه . ووكل لاكمال البناء المرحوم الحاج عبد الهادي الاستربادي . وفي عام1324 هـ /1906 م نصب ضريح فضي جديد , وبلغ مقدار الفضة المستعملة 1172 كغم .

**الوضع الحالي لمشهد الجوادين :**

يحيط بمشهد الجوادين سور ضخم مستطيل الشكل طوله 123م وعرضه 118م وله عشر بوابات اشهرها باب القبلة في الجنوب وباب المراد في الشرق وباب صاحب الزمان في الغرب وللمشهد اروقة مفتوحة بعضها على بعض تحيط به من جهاته الأربع. ويحيط بالرواق ثلاث طارمات فسيحة. ويتوسط الصحن المرقد وفيه القبر الشريف , وهيئة القبر مستطيلة , يحيط بها مشبكان : احدهما من الفولاذ والثاني من الفضة يبلغ طول الضريح الفضي 6,74 م وعرضه 5,17م واهم ما يلفت النظر ان لكل من الامامين قبلة مستقلة ولكن القبتين بنيت على طاق واحد . وسور الصحن مكون من أواوين مزخرفة بالقاشاني .

وتعد عمارة الامامين بقبابها ومآذنها وزخرفتها وطلائها الذهبي من مآثر التراث الخالد ويعبر عن اصالة فن العمارة الاسلامية وفخامة البناء , وهو بحق روعة فنية يفتخر بها تراثنا العربي الاسلامي (43).

****

المصدر: محمد حسن آل ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي ، ص155.

شكل(32) **مخطط روضة الجوادين**

**ظهور مدينة الكاظمية وتوسعها :**

تقع مدينة الكاظمية الى الشمال الغربي من مدينة بغداد , ويعود تاريخ المدينة الى العهد الساساني حيث كانت بستانا لاحد ملوك الفرس وعرفت بطسوج قطربل (44) . ويحتمل اطلاق تسمية الشونيزي على المنطقة بعد انتهاء الحكم الساساني على العراق (45) .

ويعد مشهد الجوادين من اهم الاماكن الدالة في تعيين خطط بغداد وابعادها وبالتالي فهو اهم مرجع خططي في تاريخ بغداد الغربية لمحافظته على موضعه الاصلي لمدة تزيد على 1250 سنة.

يقع المشهد في مقابر قريش المتصلة بمقبرة ( باب التبن ) التي يقول عنها ياقوت الحموي ( 626 هـ/ 1229 م ) انها ( محلة عامرة ذات سور) وانها ( الآن خراب صحراء ) (46) . ولم يذكر الزمن الذي بدأ فيه الخراب . ويقول ابن عبد الحق البغدادي (739 هـ / 1338م) عنها ايضا :" محلة كبيرة مجاورة لمشهد موسى بن جعفر ... "(47) .

ولايعرف كيف ومتى قامت العمارة الاولى في الكاظمية ومن قام بتشييدها , ولكن بعد وفاة الامامين بنى اتباعهما عمارة حول القبرين وزخرفوها وزينوها. ولا يزال القسم الغربي من صحنهما الشريف يسمى بـ(صحن قريش) الى اليوم . وسوّر الأتباع هذه المقبرة وأطلق الناس عليها اسم(الكاظم) و(الكاظمين) و(الكاظمية) . وأخذ أهل بغداد بنقل موتاهم اليها وجًعل لهم الحق بالدفن خارج السور، فأصبحت مقبرة عامة لجميع الناس. واحتاجت الى عمال يقومون بدفن الأموات ، فبنوا بيوتاً بسيطة في أطرافها، ازدادت بمرور الزمن. وأصبحت مهنة دفن الأموات مكسبهم ومعيشتهم . وقامت جماعة أخرى بتأمين راحة الزوار. فضلاً عن وجود مهن اخرى مثل الزراعة والبستنة والنقل النهري والبناء. أما الموجودون داخل السور والمقيمون داخل المقبرة فهم موظفون على نفقة الخلافة العباسية.(48)

ويستفاد من احدى روايات (مسكويه) وجود سكان حول المشهد بجانب مقابر قريش(49). ونتيجة لبسط الأمن وتعيين حراس للمرقدين زمن معز الدولة البويهي ازداد عدد الزوار والقاطنين جوار المشهد فكان سبباً في انتشار الدور وتوسع مجال السكنى هناك(50). فعمرت المنطقة تدريجياً ونمت حولها محلة أصبحت بمرور الزمن مدينة اشتملت في العصر العباسي على عدة محلات اشهرها باب التبن.

والظاهر ان المنطقة اصبحت ذات حجم سكاني لافت للنظر ، أطلق البعض عليهم (أهل مشهد موسى بن جعفر)(51). وفي اواسط القرن الخامس الهجري ظهرت النقابة في الكاظمية حينما اصبحت البلدة مدينة مستقلة لها كيانها الخاص أثر الفتن والاضطرابات التي عمت أرجاء البلاد بحيث تحولت البلدة من محلة(من محلات بغداد) الى مدينة منفصلة أصبحت بحاجة الى نقيب خاص بها، غير نقيب بغداد، يشرف على شؤون المشهد والبلدة(52).

وفي سنة 604هـ أمر الخليفة بناء دور في اطراف بغداد لاطعام الفقراء باسم" دور الضيافة" وكان للمشهد نصيب منها(53). ووصف ياقوت المنطقة سنة 623هـ/1226م أنها" محلة فيها خلق كثير وعليها سور... وبينها وبين نهر دجلة شوط فرس..." (54).

وبسبب كثرة زيارة الأعاجم الى المنطقة وبقائهم فيها، اتسع نفوذهم فتضجر العرب منهم. وجاءت بعض القبائل العربية اليها وبنوا لهم فيها حارات سموها باسماء قبائلهم مثل(ابوحية) من طي، والانباريين والكنعانية وكنانة وأبو هيازع والجبور والشيبانية والعقيلية والسادة المدامغة(55).

وبانتهاء العصر العباسي اصبحت الكاظمية تضم عدداً كبيراً من السكان والمنشآت وبعض المؤسسات الدينية والتعليمية والصحية ودار لاستراحة الزوار.

وذكر الكاظمية (حمد الله المستوفي) الذي جاء بعد ياقوت بقرن ، وقال عنها أنها" بلدة قائمة بنفسها يقدر محيطها بستة آلاف خطوة وفي وسطها قبر إلامامين"(56).

وقدر سكان الكاظمية في بداية القرن الثامن الهجري بنحو (6000) نسمة (57). وذكر ابن كثير ان دجلة فاضت واغرقت في سنة 725هـ نحو من ستة الآف وستمائة بيت من الجانب الغربي من بغداد(58)، وقد تكون بيوت الكاظمية من بينها.

وعدت الكاظمية في منتصف القرن الثامن الهجري خامس محلة من محلات بغداد، وثاني محلة من محلات جانبها الغربي(59). وعدّ ابن حجلة الكاظمية من مدن بغداد الثمانية وكانت مسورة(60).

وفي زمن الاحتلال الصفوي للعراق ، اصبح للكاظمية شأن كبير في الأمور العامة ولها كيان مستقل . ففي عام 914هـ/1508م أمر الشاه اسماعيل الصفوي بتشكيل ادارة خاصة بالبلدة ومحكمة شرعية يرأسها قاضي يحمل لقب (شيخ الاسلام).(61)

وفي سنة 1179هـ/1765م زارها كارستن نيبور وقال عنها أنها قرية كبيرة على بعد ثلاثة أرباع الساعة سيراً من بغداد. وأثارت اعجابه قبة المشهد والمنارتان المبنيتان على الطراز الفارسي ، وقال عن سكانها أنهم يدفنون موتاهم في صحن إلامام لعدم تمكنهم من دفع نفقات الدفن في النجف(62).

وفي سنة 1213هـ/1799م زارها أبو طالب خان واطلق عليها اسم (مدينة الجزيرة) وذكر ان دورها اجمل من دور بغداد وكان يسكن احدى محلاتها جماعة من الفرس والهنود ويحيط بها سور(63).

وتشير اخبار سنة 1809 الى كثرة حوادث النهب في الكاظمية ومايحيطها بسبب اضطراب الأمن وغياب الأمان لتعرض عشائر الجزيرة والشامية بالمارة من شدة الجوع(64).

وفي سنة 1821 تم تأسيس أول مطبعة حجرية في الكاظمية ، وطبع فيها أول كتاب وهو" دوحة الوزراء للشيخ" رسول كركوكي،(65) مما يدل على وجود نشاط ثقافي في المدينة.

واكد المنشئ البغدادي في رحلته سنة 1822 ماذكره نيبور عن سكانها أنهم اخبارية المذهب ، اي يعتمدون على الأخبار وهي الأحاديث المتناقلة عن طريق أهل البيت(ع)(66). وفي سنة 1245هـ/1829م هاجمت قبيلة شمر مدينة الكاظمية ، وبعد أشهر تعرضت المدينة الى فيضان فاغرقها. وفي 1834 زارها الرحالة الانكليزي (جيمس بيلي فريزر) ووصفها بأنها قرية مقدسة وشاهد فيها اعداد كبيرة من الايرانيين والبدو، وكانت قبيلة عنزة تحاصر أسوارها.

وفي عام 1850 استقبلت المدينة اعداد كبيرة من الزوار ، لهذا تضم بالاضافة الى سكانها من العرب أعداد من أبناء التبت وكشمير وايران والمغول والأفغان. وقدر عدد زوارها يوم السبت لوحده في سنة 1855 مابين 1000-3000 زائر(67)، وعدد زوارها سنوياً مابين 25000- 30000 زائر، وبذا عُدّت رابع مدينة دينية في العراق بعد كربلاء والنجف وسامراء(68). وتضم المدينة نحو الف بيت و4 خانات و4 حمامات عدا الحدائق والبساتين(69).

ويعد عهد مدحت باشا(1869- 1872) عهداً ذهبياً بالنسبة للكاظمية فقد أصبحت قضاء يديره قائممقام تابع الى سنجق مركز ولاية بغداد. وقد اهتم الوالي بالري وأغلق صدر الصقلاوية الذي كان يغمر أراضي الجزيرة ويؤخر العمليات الزراعية، فضلاً عن انشاء خط الترامواي بين بغداد والكاظمية(70) لمسافة 7كم والذي بُدئ به العمل سنة 1871 ورفع سنة 1946(\*) .

ووصفت مدام ديولافوا سنة 1881 شوارع الكاظمية بأنها أنظف من شوارع بغداد وان أغلب أهاليها وكسبتها من الايرانيين الذين جاؤا لزيارتها وبقوا فيها، وأشارت الى تركز الدور حول الصحن الشريف ، كذلك محلات بيع الفواكه والرقي والبطيخ(71).

وربطت الكاظمية بالأعظمية بجسر عائم من الخشب سنة 1883 وهو محمول على 34 قارباً صغيراً ، وربطت بالسلاسل، ويغرق أيام الفيضان. وذكر ريجارد كوك وجود جسرين يربطان الكاظمية بجانب الرصافة ، الضيق منهما يقابل نهاية خط ترام الكاظمية(72). وتقوم القفف بعملية النقل عندما تتعرض الجسور للغرق.

**محلات الكاظمية**

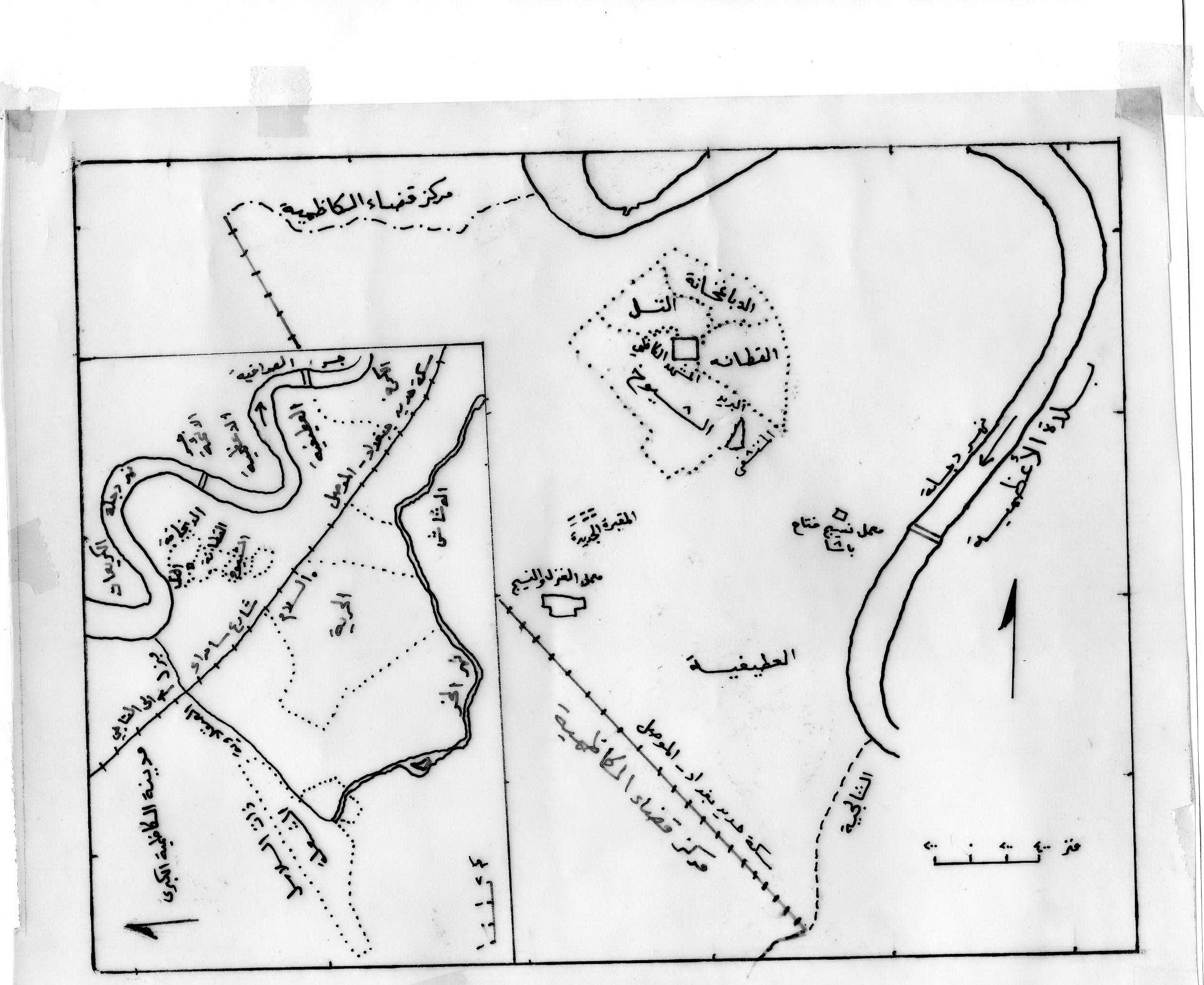
أصبحت الكاظمية قبلة أنظار التجار واصحاب الحرف فهاجروا اليها من مختلف المناطق والبلدان، سكنوا في اماكن عديدة وبنوا دوراً وخانات ومحلات في الفراغات الواقعة بين الحارات فتوسعت المدينة وامتهنوا مهن اخرى كصناعة الجلود في المحلة التي جاء اسمها من تلك الحرفة(الدبخانة) أي دباغة الجلود حيث يوجد معمل الدباغة قرب نهر دجلة شمال طرف البحية(البوحّية)، وهي فخذ من طي، وفيها طرف أم النومي، وأبو هيازع(73).

وفي مكان آخر من المدينة شاعت تجارة القطن وبيعه وتصنيعه فسميت المنطقة الواقعة بين الدبخانة والشيوخ بـ(شارع المحيط القديم) والتل الأحمر بـ(القطانة). وهناك صناعة اخرى هي صناعة الاكواز وكانوا أرباباً من قبيلة كنانة فسميت المنطقة بـ(كوز كنانة) لشهرتها وتقع قرب المنطقة الصناعية الحالية واندثرت منذ زمن بعيد.

ومن محلات الكاظمية القديمة (الشيوخ) نسبة الى ساكنيها شيوخ طي (آل شطيط) ويتوزعون بين الكاظمية والأعظمية. وتقع محلة الشيوخ غرب وجنوب غرب الصحن الشريف كما في سوق الاستربادي ومايجاوره ، وطرف باب الدروازة (وتعني الباب المفتوح بالفارسية)، هدمت سنة 1869 وبنُي مكانها محطة (الترامواي) وموقعها اليوم عمارة القصاب. أما (محلة التل) فتقع الى غرب وشمال غرب الصحن وتضم طرف الانباريين القادمين من مدينة الانبار الى المسيب ومنها الى الكاظمية وهم من ربيعة وتضم ايضاً طرف(السميلات) من ربيعة . وهناك محلات أحدث اشهرها الشوصة قرب ساحة الزهراء ، وهي اقدم محلة خارج مركز الكاظمية فيها نخل(يشيص) أي لايصبح تمراً لعدم تلقيحه فسميت المحلة بهذا الأسم(74).

ومن المحلات الحديثة (النواب) و(العكيلات) على يمين ويسار شارع الحسين. ويسكن العيكلات(ظهر الكراج الجديد) كل من التمايمة وبني سعد. وهناك ايضاً محلة النعش خانة والهبنة. وسميت الاولى باسمها نسبة الى نعوش الأموات التي كثرت في البستان التي تقع فيها بعد انتشار مرض الطاعون . اما الهبنة فهي منطقة منخفضة كان سكانها يربون الجاموس وتمتد منطقتهم الى محلة العطيفية التي جاء اسمها من انعطاف نهر دجلة ، كان مالكها الأول الحاج عطيفة من أهل الكاظمية. وتقع بجانب محلة النواب بستان علاكة وبستان الحاج جعفر عطيفة.

أما أزقة الكاظمية فأخذت أسماء شتى نسبةً الى ساكنيها من المتنفذين وأرباب الأعمال وبعض التجار. وأخذت تندثر تلك الاسماء بغياب الشخص أو اندثار المهنة. وظهرت أسماء غيرها باسم الشخص الجديد أو مهنته. وهناك بقعة تسمى بـ(گع حمّد) قرب خزان الماء، وبستان(علّو) و(الملحاني).

****

المصدر: عن احمد سوسة ، اطلس العراق الاداري، ص12، ومصادر اخرى.

شكل(33) **محلات مدينة الكاظمية**

**توسع المدينة:**

كانت مدينة الكاظمية مسورة بسور أشبه بالدائري واستوطنت بعض القبائل بجوار هذا السور من داخل المدينة وخارجها. ويعد هؤلاء خط الدفاع الاول عن المدينة اذا ماتعرضت للغزو من الخارج.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ازداد عدد المساكن والسكان في المحلات المحيطة بالمشهد الشريف واصبحت هذه المنطقة مركز مدينة الكاظمية الحالية بعد ان كان مركزها يقع في جنوب غربها.

وأصبحت الكاظمية محط أنظار السواح والزوار، لذا أخذ بعض التجار وأصحاب الأموال يقومون ببناء الخانات لتكون مأوى السياح والزوار والمسافرين وينتفعون من ايجارها مثل خان: جرموكة، ليلة، قرمان، السادة، الاستربادي، باب الدروازة، الكابولي.

وبعد توسع المدينة أُنشئت المقابر خارجها(تل أحمر) وتقع فيها الآن دائرة البريد وحماية الاطفال . وأخذ الناس يدفنون في براثا(المنطقة) ثم النجف. وتحيط بالمدينة أشجار النخيل التي يتوسطها الضريح حيث تحيط به الأسواق والمحلات وأصحاب الحرف والصناعات مع وجود أزقة تضم بيوت الأشراف والسادة والعلماء والتجار والمشرفين على ادارة الصحن من السدنة والخدم. ثم يأتي نطاق آخر من المساكن يحيط بالنطاق السابق ويضم بيوت عامة الناس حيث توجد محلات المدينة الأربع القديمة، ويتخلل هؤلاء مساكن الأجانب من الفرس والهنود والأتراك والافغان. ولكل من هؤلاء أزقة (درابين) وعقود(عگود) تتجمع فيها بيوتهم التي سميت بأسمائهم. وتتخلل هذه البيوت المقاهي والحوانيت ومعامل النسيج اليدوية الصغيرة التي اشتهرت بها المدينة زمناً طويلاً وصناعات يدوية أخرى.

كما ظهرت صناعة الطابوق لسد حاجات السكان فيها. ففي عام 1914 ظهر وجود 42 كورة لعمل الطابوق في غرب المدينة القديمة بعيداً عن المناطق السكنية(75).

ووصفت المدينة في أواسط الأربعينيات أنها قصبة كبيرة تحيطها البساتين من ثلاث جهات، ومن الجهة الرابعة تمتد المستنقعات والمدابغ وكور الطابوق وان دفن معظمها. تبعد عن بغداد بحوالي 5كم(أي فرسخ واحد) . وطرقها معوجة ، عماراتها قديمة، بالرغم من وجود شوارع عريضة مزفتة وفنادق في الاحياء الحديثة، وهي تجمع بين القديم والحديث. ويبتعد عمران المدينة عن النهر الذي لايبعد عنها سوى كيلومتر واحد، بخلاف الأعظمية المقابلة لها عبر نهر دجلة حيث تقام على ضفاف النهر القصور والمتنزهات، ذلك ان سكان الكاظمية ومهاجروها يرغبون بالسكن قرب الحضرة المقدسة.

ان السيطرة على مياه الفيضان في الجزء الغربي من المدينة والسدود في شمالها كان له اكبر الأثر في اتجاه السكن نحو الغرب وترك القسم الشرقي للبساتين. لهذا امتد السكن- بعد توسع المدينة- بعيداً عن مشهد الجوادين باتجاه سكة حديد بغداد- الموصل حيث ظهرت الأحياء السكنية الجديدة هناك.

أما عدد سكان المدينة فقد قدر سنة 1907 بحوالي 7-8 الآف نسمة ، ونسبة الايرانيين بينهم تبلغ نحو ثلثي العدد(76). ازداد السكان الى(14000 نسمة) عام 1913(77)، والى(15000 نسمة) سنة 1917(78).

وبحسب تعدادات السكان للاعوام 1947، 1957، 1965 بلغ حجم السكان في محلات الكاظمية القديمة والمحلات الواقعة في أطرافها نحو 49000، 122000، 225000 نسمة في التعدادات المذكورة بالتتابع(79)، ومساحتها نحو 2056 هكتار(80).

ويلاحظ انخفاض سكان مركز الكاظمية (المدينة القديمة ولاسيما التجارية منها) من 79% سنة 1947 الى 38% سنة 1957، والى20% سنة 1965 بسبب انخفاض سعر الارض في الأطراف وارتفاعها في المركز لانها أصبحت محلات تجارية. ومع ذلك تزداد كثافة السكان في المدينة القديمة فتصل في محلة التل اكثر من 800 نسمة/هكتار. وفي محلة الدبخانة ترتفع الى 1211 نسمة /هكتار لصغر مساحة دورها وضيق أزقتها. وعموماً تنخفص الكثافة كلما ابتعدنا عن المشهد الشريف نحو الأطراف باستثناء المنطقة التجارية المركزية التي تتميز بانخفاض كثافتها بالرغم من مجاورتها لاكثف مناطق المدينة سكاناً، وذلك لانها اماكن تجارية وليست مناطق سكنية.

**الخاتمة**

اتضح مما تقدم ان اساس وجود مدينة الكاظمية هو وجود مقابر قريش في المنطقة ودفن إلامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد فيها وماتطلبته المقبرة من وظائف لاحقة للعناية بالمشهد ومقتنياته ، والعناية بالزوار ورغبة الناس بالسكن الى جوار المرقدين. وبمرور الزمن ومع كثرة الزوار والعناية بالمشهد ازداد عدد السكان واتسعت المدينة وكثرت خدماتها وازدادت وظائفها بل بدأ توسعها عندما أصبحت مدينة شبه مستقلة لها نقيب خاص بها يهتم بشؤون المرقد وبشؤون المدينة .واكتسبت محلاتها أسماء العشائر التي استوطنت فيها. وتوسع المدينة وامتداها نحو الجنوب جعلها بوابة بغداد الشمالية.

مما يتطلب المزيد من العناية بها من حيث توسع شبكة النقل فيها وتعبيد الطرق الموصلة اليها وتعمير المدينة والعناية بمتنزهاتها والاهتمام بالمرقد الشريف وتنظيم الزيارة اليه بحيث يستطيع الزائر أن يؤدي شعائره الدينية دون عناء وبطريقة حضارية لاتسبب اختناقات في الطرق ، ويستطيع أن يحصل على احتياجاته من أسواقها بطريقة ميسورة.

**الهوامش**

1. الشيخ المفيد، الارشاد ،ط1، مطبعة سرور ، مؤسسة انتشارات ، قم(ايران)، 2005، ص470. انظر ايضاً : حسين الشاكري ، موسوعة المصطفى والعترة(الجواد محمد): سلسلة رقم 13،ط1. قم ، 1419هـ.،ص110، احمد محمود صبحي، نظرية إلامامة لدى الشيعة الاثني عشرية، دار المعارف، القاهرة، 1969،ص391.
2. هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر،ط2، القسم الثاني، دار القلم، بيروت، 1978،ص452.
3. الطبرسي، تاريخ المواليد(عن: ابن أبي الثلج البغدادي، تاريخ الأئمة، ط1، دار القارئ ، بيروت، 2002،ص102).
4. ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، تحقيق علي محمد البجاوي، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت، ص19.
5. ابن شهر أشوب، مناقب آل أبي طالب ،ج4، دار الأضواء ؛ بيروت، 1405هـ/ 1985م،ص379(عن: حسين الشاكري، 13/24-25).
6. القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، منشورات عالم الكتب، بيروت، 1282هـ، ص115، الكليني، أصول الكافي، ط3، دار الكتب الاسلامية، طهران، 1388هـ.
7. محمد حسن آل ياسين، ص11.
8. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم،ط3، ج8، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب(رقم30)، القاهرة، 1966، ص32.
9. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط1، المجلد الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931 ، ص120، ياقوت، 5/163.
10. الطبري، 82/50.
11. المصدر نفسه،( مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939، 6/ 288 ).
12. الخطيب البغدادي، 1/ 121.
13. المفيد ، ص470 ،474، احمد محمود صبحي، ص391، حسين الشاكري، 13/105- 107، 110.
14. المجلسي، بحار الأنوار، طهران، 1315هـ، 50/73.
15. كشف الغمة، 2/ 361(عن: المجمع العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية: إلامام محمد بن علي الجواد" سلسلة رقم 11، ط2، مطبعة ليلى ، قم(ايران)، 1425هـ، ص129، 131.
16. المفيد، ص476.
17. المسعودي، مروج الذهب، عني بتنقيحه شارل بلا،ج4، مطبعة شريعت، انتشارات الشريف الرضي، 1422هـ، ص349، حسين امين، بغداد، مدينة السلام منذ تأسيسها حتى الوقت الحاضر، من اصدارات مجلس صفية السهيل الثقافي ، مطبعة الرفاه، بغداد، 2009، ص119، محمد حسن آل ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي، ط1، مطبعة المعارف، بغداد، 1967،ص121.
18. السيد محمد كاظم القزويني، إلامام الجواد من المهد الى اللحد، ط3، مؤسسة الرسالة، قم، 1407هـ، ص19، الطبرسي(عن: محمد ابن ابي الثلج،ص101).
19. حسن الشقري، قبس من نور الامام الجواد،ط2، مطبعة علمية ، نشر مؤسسة عاشوراء، قم، 2003، ص61، المفيد ، ص481.
20. القزويني ، ص70، 399- 401، هاشم معروف الحسني، ص466، حسين الشاكري، 13/ 36.
21. المفيد ، ص481.
22. اعلام الهداية، ص140.
23. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، 1957، ص163.
24. رحلة ابن بطوطة، تحقيق د. علي المنتصر الكناني، ط1، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1975، ص245.
25. حسين الشاكري، 13/ 520، عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، ط4، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1971، ص120.
26. ابن خلكان، وفيات الأعيان ، حققه احسان عباس، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1977، ص310.
27. آل ياسين، ص24.
28. عباس العزاوي، العراق بين احتلالين ،ج2، مطبعة بغداد الحديثة، بغداد، 1936، ص132. انظر ايضاً: طبعة مكتبة الحضارات ، بيروت، 2/148- 149.
29. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1966، المجلد التاسع، ص577، القزويني، ص409-410، ابن الجوزي، المنتظم، 8/15(عن آل ياسين، ص28).
30. عبد الرزاق الحسني، ص119.
31. ابن الأثير، 10/ 91، حسين أمين ، ص120.
32. القزويني، ص411، الشيخ محمد السماوي، صدى الفؤاد، النجف، 1360هـ، ص14(عن : آل ياسين، ص31).
33. مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، رسالة مخطوطة، في مديرية الآثار العامة تحت رقم 6285، ص5(عن: عبد الرزاق الحسني،ص119).
34. حسين الشاكري، 13/ 510-511، محمد السماوي(عن: آل ياسين، ص33).
35. نور الدين التستري، مجالس المؤمنين ، طهران ، 1375هـ ، 1/ 497(عن: آل ياسين، ص34)، الفخري في الآداب السلطانية، ص240(عن: عبد الرزاق الحسني ،ص119)، الشيخ جعفر النقدي، تاريخ إلامامين الكاظميين،ط2، مطبعة الغري الحديثة، النجف، د. ت،ص70، القزويني، ص413.
36. عبد الرزاق الحسني ، ص120، محمد السماوي، ص16.
37. رحلة ابن بطوطة، 1/ 243.
38. آل ياسين، ص52- 53.
39. عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلدان العراقية، ط1، مطبعة النجاح، بغداد، 1930، ص46، القزويني، ص413.
40. يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثالث ، جمع وتعليق معن حمدان علي، دار الحرية للطباعة، بغداد ، 1981، ص155-156، آل ياسين، ص85.
41. رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة عن الالمانية محمود حسين الأمين، تعليق سالم الآلوسي، وزارة الثقافة والارشاد ، دار الجمهورية ، بغداد، 1965، ص40، آل ياسين، ص89.
42. الشيخ جعفر النقدي، ص70، القزويني، ص413.
43. حسين أمين ، ص122.
44. نسرين محمود حمزة، الجغرافية الاجتماعية لمدينة الكاظمية الكبرى، ط1، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية ، بغداد، 1975، ص9، 13.
45. محمد حسن آل ياسين، " مقابر قريش أو الكاظمية" ، مجلة الاقلام، ج2، السنة الاولى، بغداد، 1964، ص23.
46. ياقوت الحموي، 1/ 306- 307.
47. ابن عبد الحق ، 1/ 143.
48. فخري الزبيدي، بغداد من 1900 حتى سنة 1934،ج1 دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1990، ص98، عبد الرزاق الحسني، العراق، ص117.
49. مسكويه ، تجارب الأمم، القاهرة، 1332هـ ، 5/ 131(عن: آل ياسين، تاريخ المشهد، ص22).
50. محمد السماوي، ص11-12.
51. ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، الهند، 1370هـ ، ص359.
52. مسكويه، 6/ 407، ابن الجوزي، المنتظم ، الهند، 1358هـ ، 8/ 194، 212، 9/ 243.
53. ابن الاثير 12/278

54 – ياقوت 5/163

55 – فخري الزبيدي ،1/99

56- كتاب نزهة القلوب ، ، طبعة لسترانج، ص35،(عن: عبد الرزاق الحسني، العراق، ص116).

57- محمد حسن آل ياسين، لمحات من تاريخ الكاظمية ، مستل من مجلة البلاغ، السنة الثانية، العدد 403، بغداد، 1970، ص16.

58- ابن كثير ، البداية والنهاية، ط2، ج14، مكتبة العراق، بيروت، 1977، ص118.

59- صلاح الدين الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ط1، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975، ص107.

60- عن: صالح احمد العلي، بغداد مدينة السلام: الجانب الغربي، المجلد الثاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1985، ص211.

61- صلاح الدين الصفدي ، ص16(عن : نسرين محمود حمزة ، ص36).

62- رحلة نيبور الى العراق، ص40- 41.

63- رحلة أبي طالب خان مرزا الى العراق وأوربة سنة 1213هـ/ 1799م، تعريب مصطفى جواد ، مطبعة الايمان، بغداد، 1968، ص369.

64ـ عباس العزاوي المحامي، مكتبة الحضارات، 6/222، ايضاً: طبعة بغداد، 1954، 6/ 222.

65- رافائيل بطي،" تاريخ الطباعة العراقية"، مجلة لغة العرب، ج4، السنة الرابعة ، تشرين اول 1926، بغداد ، تعقيب رزوق عيسى، ص206.

66- رحلة المنشيء البغدادي سة 1822(1237هـ)، نقلها عن الفارسية وعلق عليها عباس العزاوي المحامي، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1948، ص25.

67- جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة،ج1، دار المعارف ، بغداد، 1967، ص186، 248-249.

68- نسرين محمود حمزة ، ص46.

69- جعفر الخليلي ، ص186، 248- 249.

70- لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، بغداد، 1985، ص376.

(\*) الترامواي: عبارة عن عربة من طابقين تسحبها الخيول على سكة حديد تديرها شركة طرحت(6000)سهم، وبلغت جملة تكاليف المشروع(18000) ليرة. وكانت اجرة الفرد الواحد أربع آنات. وكانت محطتها في بداية تأسيسها محلة الجعيفر ثم أصبحت قرب مسجد حبيب العجمي(جريدة الزوراء، العدد24، 25محرم، 1287هـ، عبد الرزاق الحسني، العراق، ص116، مجلة كلية الآداب /جامعة بغداد، العدد3، ك2، 1961، ص123، جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، ط2، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 2001، ص388-9.

71- رحلة مدام ديولافوا الى كلدة والعراق، نقلها الى العربية على البصري، مطبعة أسعد، بغداد، 1958، ص90-93.

72- Richard Coke, Baghdad city of peace, Ist. Publisher Butter worth, London, 1927,pp.44-45.

73- فخري الزبيدي، ص99.

74- المصدر نفسه، ص103-107.

75- محمد حسن آل ياسين، لمحات، ص25.

76- نسرين محمود حمزة، ص44.

77- آل ياسين، لمحات، ص24.

78- نسرين محمود حمزة، ص49.

79- ج م ح، وزارة الداخلية ، تعدادات السكان للاعام 1947، 1957، 1965.

80- مديرية المساحة العامة ، شعبة العد، جدول(5)، احمد سوسة، اطلس العراق الاداري، مطبعة المساحة العامة، 1952، ص13.